مرثية الكاظمي

وتلاه حضرة الاديب حبيب افندي الزحلاوي فتلا مرثية عامرة الابيات بعث بها شاعر العرب الاكبر الشيخ عبد المحسن الكاظمي وهي :

ما للأعزة في وجوم مستسلمين الى الهموم
متهافتين على جوى متنافسين على كلوم
يتساءلون وكلهم من جلة النفر القروم
اي النجوم استلهما رامي النجوم من النجوم
ومشي بها فمشت الى وضح الطريق المستقيم
تلك « الثريا » حولها كم قيل للآمال حومي
أم تلك شمس غادرت وسط السماء الى التخوم
هاجتهم ذكرى الاحبة من حديث او قديم
وعهود صحب جلة مرت بهم مر النسيم
ذكروا سليما يوم غا ب وربة القلب السليم
واستمطروا العبرات — والعبرات تغنى عن سجوم
لا تجزعوا لكريمة وفدت على رب كريم
تركت نعيما زائلا وتفيأت ظل النعيم
أكذا جميع العالمين من الاديم الى الاديم ؟

* * *

بنت السماء خذي الطريق الى ابن واكفة الغيوم
وتحملي عنا السلام اذا اتيت الى سليم
بنت السما ان ترحلي فالذكر ذكرك او تقيمي
بنت السماء إذا همو جزعوا عليك فلا تلومي
دفنوا بشخصك في الثرى عطف الحنون على اليتيم
دفنوا بشخصك رحمة إذ ما هنالك من رحيم
كم منة لك في رقاب البائسين على العموم

شيدت داراً كي تشيد كل سباق عليم
وبنيتها كي تبتني فيها مصابيح العلوم
بنت السماء سنى العلى عنوان معهدك الوسيم
خير المعاهد ما بنته غر اخلاق وخيم
طابت ارومة صيدناوي انت منها في الصميم
ان كنت اقصدك الردى فعلاك سالمة الاروم

* * *

قل للقضاء وقد جرى في بيض ايام وشيم
يسطو على الروض الانيق يرده مثل الهشيم
ويغض من غض النسيم يعيده لفح السموم
غادرت راجحة الحلوم لديك طائشة الحلوم
أ « لصيدناوي » درة نثرت من العقد النظيم
ام ان ام الفضل قد ثكلت حمى الام الرؤوم
الياس يوم اليمن أضحى بعد امك يوم شوم
لو كان يندفع القضاء بذى يراع او صريم
لدفعته ورجعت من بعد الدفاع الى الهجوم
الياس لا تجزع حباك الصبر بالاجر العميم
فاذا ابت جزاعة فاركن الى الذكر الحكيم
واسلم لك المجد العظيم يزيد في المجد العظيم

وكان لهاتين القصيدتين من الوقع في النفوس فوق ما يستطيع القلم بيانه من الشجن

ثم ووريت تلك الفقيدة العزيزة في التراب بل توارت تلك الشمس بالحجاب وعاد الجماهير يستمطرون على ثراها رحمات ربها الكريم ويرجون لها خير جزاء في جنات النعيم داعين لحضرات نجلها الوحيد الخواجا الياس وكريمتيها النبيلتين واخويها واخواتها واصهارها وسائر آل صيدناوي الاماجد بحسن العزاء وطول البقاء

فقيد العلم والفضل ، والادب والنبل ، الاستاذ المؤرخ
القدير ، والعالم الكبير ، رفيق بك العظم

لقد دك ركن من أركان الحرية والفضل وفجع الشرق بوفاة بطل من ابطاله الأحرار ومؤرخ عالم من علمائه الامجاد وفذ تفرد بكبر النفس والشهامة والنزاهة والتضحية الحقيقية التي قلما يجاريه فيها ند أو قلما يحاكيه فيها نظير ونريد به الطيب الذكر ، الجليل الأثر المرحوم المبرور رفيق بك العظم. وافته منيته فجر يوم الاربعاء الموافق أول يوليه ويوم وقفة عيد الأضحى

كان رحمه الله ، وجعل الجنة مأواه ، علماً من اعلام الفضل اتصف بالصفات الحميدة والمزايا الفريدة والأخلاق الرضية حتى أجله كل من عرف تلك الخلال .

فطر على حب الحرية والتعلق بوطنه العزيز فلم يخش في خدمته لومة لائم ، أو نقمة ناقم شديد البطش . قاوم عبد الحميد مقاومة عنيفة وتحدى رجال دولته وكتب المقالات العديدة منتقداً فيها أعمالهم وما يجرونه من الويلات والخراب على البلاد وكان ينصح لهم بأن يعدلوا في الأحكام ويحسنوا الادارة فحسبوا له ألف حساب وعرضوا عليه الوظائف العالية والرتب السامية فرفضها بأباء وشمم ولم تغره الالقاب الضخمة ولما حاولوا ايصال اذاهم اليه هاجر الى القطر المصري حيث واصل الجهاد في خدمة الوطن كما واصل العمل في خدمة العلم فوضع كتاب أشهر مشاهير الاسلام في اربعة مجلدات وهو كتاب نفيس كان لظهوره ضجة كبيرة في العالم العربي وقوبل في كل مكان بمزيد الارتياح ووضع رسالة «الجامعة الاسلامية وأوربا» طبق ذكرها الخافقين وله غير ذلك من الرسائل العديدة الدالة على مضاء عزيمته وشدة ذكائه وسمو مداركه . وترأس في مصر حزب اللامركزية فأظهر في رئاسته اقتداراً وادارة وما كان يعقد في مصر اجتماع علمي أو سياسي الا وكان الفقيد في مقدمة الخطباء المجيدين

والحق الذي لامراء فيه ان فقيدنا الكريم قضى معظم حياته في الخدمة العامة ولا عجب في ذلك فانه من أسرة عريقة في المجد والحسب الرفيع والرسوخ في خدمة الوطن ولأفرادها الأمجاد في تاريخ سوريا ذكر مجيد على الأبد

وما ذاع نعيه حتى وجفت القلوب وشقت الجيوب وبكاه كل من عرف فضله ونبله واحتفل بتشييع جنازته احتفال مهيب سار فيها العلماء الأعلام والوجوه والأعيان ثم توافدت جماهير المعزين على داره بمصر الجديدة يقدمون التعزية لافراد أسرته الكريمة

ومجلة الاخاء تقدم فروض التعزية لحضرة صاحب العزة السري الأمثل عثمان بك العظم شقيق الفقيد ولحضرة صاحب الدولة حقي بك العظم ابن عمه ولسائر أفراد أسرته الكريمة ونسأل الله ان يسكب على ضريحه شآبيب الرحمة والرضوان ويسكنه فسيح الجنان ويلهم آله على فقده جميل الصبر والسلوان

على ذكر وفاة المرحوم الاستاذ محمد بك ابي شادي

وهذا أيضاً بدر كامل من بدور الذكاء والبيان آثر جوار ربه على هذا العالم الفاني ففاضت روحه الغالية في وقت الحاجة اليه

سكن هذا اللسان الذي كان يقطر فصاحة وخفت ذلك الخاطر المتقد الذي كان يجلو شكوك الحقيقة ويرفع اللثام عن وجه غموضها وابهامها وغاض معين ذلك الايمان الصادق فنفتقدنا بفقده مجموعة غالية من الذكاء والادب والفكر والشجاعة

كان للفقيد في المحاماة اسلوب حلو عذب وحجة سهلة دامغة وتمثيل طبيعي وطلاقة يجري بها لسانه الذرب القدير فلا يكاد ينتهي من دفاعه حتى يترك من حوله من السامعين سكارى وما هم بسكارى

من الذي يجهل اسم هذا الفقيد الكريم وهذه مكانته من العلم الغزير والفهم

القوي والادب الجم والروح العالية والنفس الصافية . على أنه كان ايضاً في خلقه صورة صحيحة من الحق والادب والفضيلة والمروءة والهمة لا يتأخر في موضع التقدم ولا يتقدم الا وخطواته تأخذ سبيلها في طريق الاصلاح ونشر مكارم الاخلاق

غاب عنا هذا البدر فما أقسى ما نعانيه بعده من ظلام الوحشة والحزن وهمدت تلك الشعلة فما أحوجنا الى مثلها تبعث في نفوسنا حب التضحية وصدق الايمان

لقد كان الفقيد من أعرق طلاب الازهر الاقدمين تخرج من هذه الجامعة جامعة الكلام والمنطق والجدل فكان خير رافع لعلم الذكاء والنبوغ ثم انه كان من تلاميذ المرحوم جمال الدين الافغاني فيلسوف الشرق ومعاصراً للمرحوم الشيخ عبده مفتي الديار فهو في الواقع أثر قديم غال من آثار ذلك العلم الغزير الدقيق على أنه كان أيضاً رجل العصر الحاضر خفيف الروح حلو الحديث ظريف النكتة هذا شيء قليل من كثير من آداب الفقيد ومحاسنه فمن لي بدمع أبكيه به فأفيه بعض ما كان له من الفضل علي

أو بين كل عشية وصباح ... لي وقفة بمآتم ومناحي
ذهب الذي لبس الحجى في عهده ... ثوباً ترفرف في أنيق وشاح
ومضى الذي هز المسامع صوته الشـ ... ـادي فكان كبلبل صداح
فبكته في روض البيان خواطر ... عطرنه فحكين زهر أقاح
وبكته أعواد المنابر نكست ... اعلامها من حرقة وجراح
كم كان في صدر الصفوف مجاهداً ... وسلاحه الايمان خير سلاح
هانت عليه النفس ثم فباعها ... في حلبة الشجعان بيع سماح
والجود ليس بمثمر أن لم يكن ... في موقف الاخطار بالارواح

***

انا لنذكر ما احتملت من الاسى ... والنيل بين قواضب ورماح
والناس في جزع وبأسك صارخ ... وجفونا سكرى وجفنك ضاحي
حتى سقاك الموت أخبث راحه ... وسقيته بالروح اطيب راح

يا أيها الرجل الكريم شمائلاً قامت على الارشاد والاصلاح
انا لنبكي فيك أفصح ناطق بمدامع رخصت عليك فصاح
ما كفنوك بغير مجدك أنه ذخر السنين وشعلة المصباح

محمود خيرت المحامي
بسكرتارية مجلس الشيوخ

الشرف هو المجرم

ذهبت مرة مع أولادي الى احدى دور السينما ولكننا خرجنا منها مروَّعين منجوعين على أثر القصة التي شاهدناها وهي تتلخص في زوجين جميلين كان موردهما من عمل ضئيل ومن منزل يسكنان في ناحية منه ويؤجران باقيه

وكان هذا المنزل مرهوناً عند شيخ من تجار النقود فلما وافى ميعاد الاستحقاق ذهب الزوج الى دائنه وتوسل اليه أن يرجئه لميعاد آخر فأبى وكان من وراء هذا الأباء أن يعرَّض المنزل للبيع القهري وهو كل ما تملك يداه

وعند ذلك فكرت زوجته في الأمر فرأت أن تسعى هي للحصول على تلك المهلة وللسيدات احترام وكرامة يساعدانهن على تذليل الصعاب سيما انها كانت رشيقة فتانه فلما أبصر بها التاجر حياها بلطف وتلطف معها واسرف في اكرامها حتى اذا كاشفته الغرض الذي جاء بها اليه أخذ يعدها بعبارات غامضة ثم لا يلبث على هذا الوعد ثم يعود الى أن في الأمكان حل هذه العقدة ولكنه يتردد مما يدل على أن في نفسه امراً يكتمه

واخيراً طلبت الفتاة منه جواباً صريحاً فلم ير بداً من القاء ذلك اللثام الذي كان يحجب عنها وجه حقيقته :

— كل شيء ممكن يا سيدتي

— أذن تقبل أن تجدد موعد هذا الدين